

منشورات

مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية

سلسلة التاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي
والسياسي للمجتمع الليبي رقم (8)

الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم

أعمال الندوة العلمية الرابعة
التي عقدت بالمركز في يوم الأربعاء 6/1/1999م



تحرير
الفرجاني سالم الشريف
مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية



الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

2008

371.071 الكتايب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم:

ك 215 أعمال الندوة العلمية الرابعة التي عقدت بالمركز

6/1/1999 تحرير، أ. الفرجاني سالم الشريف: -

طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2009

557ص؛ 17 × 24 سم - (التاريخ الاجتماعي والثقافي

والاقتصادي والسياسي للمجتمع الليبي؛ 8)

1 - المدارس الدينية - ليبيا - الكتايب والزوايا - تراجم

حقوق الطبع والنشر والترجمة والاقتباس

محفوظة للناسر

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

هاتف: 3331782 - 4446987 - 4446988 21 00218

ص.ب. 5070 فاكس: 3331616 21 00218

Website: www.libsc.org

البريد الإلكتروني: www.libyanjihad@libsc.org

طرابلس - ليبيا

الطبعة الأولى

2009

رقم الإيداع: 2009 /312

ردمك: 7 - 169 - 23 - 9959 - 978 ISBN

دار الكتب الوطنية بنغازي

هاتف: 9090509 - 9096379 - 9097074

المنهج التعليمي في تحفيظ القرآن الكريم
بالكتابين الطرابلسية
كتاتيب منطقتي «سوق الجمعة» و«المنشية» نموذجاً

عبد الستار العريفي بِشْئِهِ
المحاضر بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم (ترهونة)، جامعة المرقب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها المأ الكريم،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

نحن في شهر رمضان ذي الأيام العطرات، والليالي النيرات، شهر يغفر الله فيه الزلات، ويقل العثرات، ويغسل الحوبات، ويمحو السيئات، ويقبل الدعوات، شهر يتجلى الله فيه بالنفحات، فيشرع في وجوه عباده الصالحين أبواب الجنات، ويصرف عنهم أبواب النيران اللأفحات. أحمدته وأشكره أن نزل على عبده القرآن العظيم في مثل هذه الأيام بأفصح اللغات، وتحدى به الثقلين، فعجزوا أن يأتوا بمثله بآية من الآيات، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله سيد السادات، وخير الكائنات.

أما بعد، فإن الموضوع الذي اخترته لأحدث فيه في هذا الجمع المبارك، هو المنهج التعليمي في تحفيظ القرآن الكريم، بالكتاتيب الطرابلسية، عرضت فيه لبعض الكتابين بمنطقتي سوق الجمعة والمنشية، وشيوخها الأعلام، الذين أسهموا من خلال تحفيظهم لكتاب الله الكريم في الحفاظ على الهوية العربية

الإسلامية، في الفترة الأليمة التي قاست فيها بلادنا موجات عاتية من التغريب، على أيدي قطعان الغزاة والمحتلين.

والكتاب قديم في الحضارة الإسلامية، إذ يضرب بجذوره إلى أيام الإسلام الأولى، لما كان صحابة رسول الله ﷺ يتحلّقون حوله حلّقًا، ليتلو عليهم القرآن الكريم غصًا طريًا، وليُعلّمهم أحكام دينهم في العبادات والمعاملات والسلوك. ثم سار الخلف على هذه السُنّة المحمودّة، فصاروا يُسَلِّمون أولادهم وذراريهم إلى الحاذقين بكتاب الله، حفظًا ورسمًا وقراءةً وضبطًا، ليعلّموهم القرآن الكريم، وأصول الكتابة العربية؛ فأدّى بذلك الكتاب رسالته على أكمل الوجوه، منذ ذلك العهد المبارك إلى زماننا هذا، فكان المدرسة الأولى التي يؤمّها من رغب في السّير في طريق العلم ودربه، بحيث لا ينتظم طالب العلم الشرعي في حلقات العلم، إذا لم يحفظ كتاب الله، ويُتقن تلاوته وضبطه.

المنهج التعليمي في الكتاتيب الطرابلسية:

تختلف تركيبة الكتاب عن تركيبة المدارس الحديثة، فهو لا يحتوي على فصول دراسية، يقسم فيها الطلاب حسب أسنانهم وأعمارهم، بل يُقسمون حسب تقدّمهم في قراءة القرآن الكريم وحفظه، بمعنى أنك قد تجد طفلًا يبلغ من العمر عشر سنوات ما زال يُحفظ الحروف الهجائية، بينما من يصغره بسنة أو أكثر قد أكمل حفظ الحروف وشدا شيئًا من القرآن الكريم، وربما تجد آخر من أترابه قد انتهى من حفظ القرآن كاملاً، وهلم جرا. لكنهم متساوون من حيث السّير على منهاج تعليمي موحد؛ فالطفل إذا ما دخل إلى الكتاب تعاهده الشيخ أو أوكل أمره إلى أحد الطلاب المتقدمين في القراءة، ليتعلّم الحروف الهجائية كتابةً وحفظًا، فيُشرع في تلقينه: أليف لا شيء عليه، والباء - وربما نطقوها بالإمالة فقالوا: البي - وحدة مسفل - أي من أسفل، إشارة إلى نقطة الإعجام - والتاء اثنيًا من فوق... وهكذا دواليك حتى نهاية الحروف، متّبعين نظام أهل المغرب الإسلامي في ترتيب الحروف ورسمها. ثم إذا ما أتقن الطفل حفظ الحروف، انتقل به إلى تعلّم ضبط تلك الحروف، فتراه يُردّد وراء معلّمه: أليف بالخفضة إي، وبالنصب آ، وبالرفعة أو، وبالجزمة أ، ويبدو لي أن كتاتيبنا بليبيا

كانت على مذهب الكوفيين في استخدام بعض المصطلحات النحوية، وهذا شيء ظهر لي جلياً ظاهراً، عندما كنت تلميذاً في الكتاب، وكلفني شيخني بتلقين التلاميذ الحروف الهجائية مقرونةً بألقاب الإعراب، فما إن تلفظت شفتاي: أليف بالكسرة، حتى جاءني وهو يتميز غيظاً، وأشبعني ضرباً وشتماً، قائلاً: قل: بالخفض لا بالكسرة، يعطيك كسره. اهـ. والخفض هو المصطلح الكوفي المرادف لمصطلح الكسر عند البصريين⁽¹⁾.

ثم إذا انتهى الطفل من حفظ الحروف، وأتقنها خطاً وضبطاً، أُعطي لوحاً صغيراً، لبدأ عملية الكتابة، ولا يتمكن الطفل من إتقان الكتابة دفعة واحدة، بل يتدرج في ذلك ويمر بثلاث مراحل:

أ - المرحلة الأولى: وتسمى مرحلة الرشيمة، وصورتها أن يكتب الشيخ بعض آيات بعقب القلم على ذلك اللوح الصغير، ثم يأمر تلميذه بإمرار المداد عليه، حتى يصبح كلاماً واضحاً مقروءاً، ويستمر هذا الفعل من الشيخ حتى يتمكن الطفل من الإمساك الجيد بالقلم، ويعتاد الكتابة، فيُنقل إلى المرحلة التالية لها⁽²⁾.

ب - المرحلة الثانية: وتسمى مرحلة الإملاء بالحرف، أو كما ينطقونها (الملا بالحرف)، وفيها يترك الشيخ الكتابة للطالب بعقب القلم على اللوح، ويبدأ في الإملاء عليه، مقسماً الكلمة إلى حروف، ليسهل على الطالب كتابتها، فيقول له مثلاً: اكتب بسم الله، باء وجر، سين وجر، ميم مهلوبة... وهكذا⁽³⁾.

ج - المرحلة الثالثة: وهي آخر المراحل، وفيها يستطيع الطالب أن يستقبل من شيخه أكبر قدر من الكلمات، ثم يقوم بكتابتها كتابة صحيحة، من غير أن يفرق له الحروف تفريقاً.

وثمة شيء آخر يتخلل عملية الإملاء، كان الشيوخ يحرصون عليه،

(1) موقف شخصي سنة 1978 في كتاب الحديدية بمنطقة أبي الخير.

(2) من ملحوظات كاتب المقال.

(3) من ملحوظات كاتب المقال.

ويعاقبون تلاميذهم إذا ما فرطوا فيه، وهو عملية (ردّ الملاء)، كما يسمونها، وصورتها أن الطالب إذا أخذ من شيخه ما أملاه عليه، ردّده عليه قبل أن يكتبه، وذلك خوفاً من الوقوع في التصحيف أو التحريف السمعيين⁽¹⁾.

فإذا فرغ الطالب من كتابة لوحه، أتى فأعطاه للشيخ ليتأكد من صحة ما كتب، ثم يباشر عملية الحفظ، وذلك بتكرار المكتوب مرّات ومرّات، حتى يتمكّن من استيعابه. والتلاميذ في ذلك متفاوتون؛ فمنهم من يحفظه بعد تكراره ثلاث مرّات، ومنهم بعد ثلاثين، ومنهم من ينفق يومه في تردادده ولكه يحرم التوفيق. ثم يتلو ذلك عملية الاستظهار أو العرض، كما يسمونه، وفيها يقرأ الطالب ما حوى لوحه غيباً، فإذا ما وُفّق سرّ الشيخ والتلميذ، وإذا كانت الأخرى طرّح أرضاً وشدة رجلاه في (الفلقة)، وتتابع عليها عصا الشيخ ضرباً مؤلماً، ولا ضير إن أفرط الشيخ في الضرب، فعصاه من عصي الجنان - كما كانت تُنعت - ومن ذا الذي يكره أو يستنكف من ضرب بعصا نبتت في الجنة، وتغذّت من ثمرتها، وشربت من أنهارها! وقد صوّر أستاذنا الجليل الدكتور محمد بن مسعود جبران - بارك الله في أيامه - بعض ما كان يجري في الكتاب في أبيات من قصيدته، التي استدعى فيها ذكريات طفولته في ضاحية (أبي منجل) بالشارع الغربي من مدينة طرابلس الغرب، فقال⁽²⁾:

نمضي إلى الكتاب فيه فقيها	ونرّتل الآيات دون نظام
هذا يرّتل في القصار مجلجلاً	ورفيقه يتلو من (الأنعام)
والجامع المعمور في عليائه	تشرى به النّفحات في إحكام
ويظّلنا سيدي الفقيه بكرمة	في ظلّها نشتم كلّ بشام
فنعبّ بالمیضاة طیناً رائقاً	ومن المداد على شبا الأعلام
كم قد أصبت من العناد بفلقة	تستكثر الضربات منها عظامي
وأعدّ من فنن الجنان عزيفها	أواه من ثغر العصا البسام!

(1) عن الأستاذ عبد السلام الهمايي بن سعود.

(2) نشر دار أوياء، سنة، جمع د. عبد الحميد الهرامة، وأ. عمار جحيدر.

كما أَلَمَّ بطرف من هذا الشاعر الأديب، الشيخ عبد السلام بن محمد خليل - رحمه الله رحمة سابعة - وذلك في بُكائِيَّتِهِ على شيخه ومعلمه، الشيخ المهدي بن محمد الهنشيري - طَيَّبَ الله ثراه - الذي أَنْفَقَ رَذَخًا من عمره في تحفيظ كتاب الله بجامع (ميزران) المعمور بطرابلس الغرب، يقول في بعض أبياتها^(١):

يَهْدِي غِرَاسَ الذُّكْرِ لِلأَذْهَانِ	فِي (مَيْزُرَانٍ) ظَلَّ طُولَ حَيَاتِهِ
وَأَمَامَهُ حَشْدٌ مِنَ الْفُثَيَانِ	مِنْ فَوْقِ كُرْسِيِّ عَتِيقٍ حَوْلَهُ
أَهْلِي الْقُرَى: قَاصِبُهُمُ وَالذَّانِي	وَجَمِيعُهُمْ شَدُّوا الرِّحَالَ إِلَيْهِ مِنْ
مِنْ (آلِ عِمْرَانٍ) وَمِنْ (لَقْمَانٍ)	يُمْلِي عَلَى هَذَا وَذَاكَ وَثَالِثٍ
مِنْ (فَاطِرٍ) مِنْ سُورَةِ (الرَّحْمَنِ)	مِنْ سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ) وَ(الْفِرْقَانِ)
مُتَأَلِّئِي الْأَرْبَاعِ وَالْأَثْمَانِ	عَقْدٌ مِنَ الْآيَاتِ يَنْثُرُ دُرَّةً
أَوْ كَانَ غَيْرَ مَرَكَّزِ الْوُجْدَانِ	مَا خِلْتُهُ يَوْمًا تَلْعَثُ أَوْ هَفَا
فَكَأَنَّمَا يُمْلِي بِأَلْفِ لِسَانٍ	يَسْتَوْعِبُ الْعَشْرَاتِ مِنْ طَلَابِهِ

أدوات الكتابة:

ولهذا اليوم الدراسي، الذي يقضيه الطالب في الكتاب أدواته المدرسية، شأنه في ذلك شأن المدارس الحديثة، بيد أن هذه الأدوات تختلف عن تلك، فهي في الكتاب مكوّنة من:

- اللّوح: ويكون عادة مستطيل الشكل يكتب عليه الطالب ما يمليه عليه شيخه، وقد يطول هذا اللّوح وقد يقصر، وذلك بحسب المستوى الذي وصل إليه الطالب، فالطالب المبتدئ مثلاً يكون لوحه أصغر بإزاء لوح من تقدّم عليه بأشواط.

- القلم: ويصنع من نبات القَصَب، وذلك بأن تُشَقَّ القصبة إلى قسمين متساويين، ثم يُبْرَى كل قسم منهما قلمًا.

(١) ورقات مطبوعة موزعة من شعره.

- الدّواة: وتسمّى عندهم (الدّوّاية)، وهي المحبرة، ويصنع حبرها بطريقة بدائية، تتلخص في أخذ قَدْرٍ من صوف الغنم، يُلقَى في إناء ويغطى تغطية جيّدة، بدائية، تتلخص في أخذ قَدْرٍ من صوف الغنم، ثم يفرغ في محبرة صغيرة، وتوضع فوقه صوفة ثم يوضع على النار حتى يحترق، ثم يصبّ عليها شيئاً من الماء، حتى إذا ما جفّ صغيرة أو قطعة من إسفنج، ثم يصبّ عليها شيئاً من الماء، وهكذا دواليك. وتسمّى عملية زيادة ماؤها بعد مدّة زائها قَدْرًا جديدًا من الماء، وهكذا دواليك. وتسمّى عملية زيادة الماء للدواة بالسّقاية، فيقولون لمن نفذ ماء دواته: قم لتسق الدواة.

حفلات الكتاتيب:

وللكتّاب حفلاته ومناسباته السارة السعيدة، فهم يحتفلون إذا ما أتمّ طالب من الطلاب حفظ قدر أو جزء من القرآن الكريم، كأن يحفظ الربع أو الثلث أو النصف مثلاً، وعندها يحضر الطالب المحتفل به - ولا سيما إذا كان أبوه موسراً - شيئاً من حلوى أو مأكول أو مشروب، يوزّعه على زملائه وأترابه. بيد أن الحفلة الكبرى عندهم هي الحفلة بختم الطالب لكتاب الله؛ لأن هذه الحفلة لا تخلو - في الأعم الأغلب - من ذبح خروف أو أكثر، وصنع وليمة دسمة، يؤمّها زملاء الطالب وجيرانه، فضلاً عن شيوخه وأساتيده، وتبدأ الاستعدادات لهذه الحفلة العظيمة منذ أن يصل التلميذ إلى سورة (آل عمران)، وهي السورة ما قبل الأخيرة، لمن بدأ حفظ القرآن الكريم من سورة (الناس)، فترى الطلبة يتغنّون إذا كتب زميلهم ثُمّن ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ فيقولون: (يستبشرون وتّي الكبش كبير قرونه)، ويقولون عندما يكتب الطالب ثُمّن ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾، وهو آخر أثمان سورة (آل عمران): (فاستجاب وتّي الزّرده يا بابا)⁽¹⁾.

الحضّ على حفظ كتاب الله وتعليمه:

يبدو أن إنشاء المدارس الحديثة قد أسهم في صرف بعض الناس عن إرسال أولادهم إلى الكتاتيب، كما كان يفعل الآباء والأجداد، وبهروا بما تقدّمه هذه المدارس من علوم ومعارف ومهارات، يخلو منها الكتّاب خلواً تاماً، ومن هنا نهذت ثلّة من أماجد الشيوخ إلى نظم المقطوعات والقصائد، التي ترغب

(1) هذه روايات شفهيّة متشرة بين الناس وحفظة الكتاب الكريم.

الناشئة وذويهم في حفظ كتاب الله، والسير في طريق تعلمه وإتقانه. ومن أولئك الشيوخ الشيخ مختار حورية - يرحمه الله تعالى - الذي نظم قصيدة من (الدوبيت) بعنوان تمجيد القرآن، يقول في بعضها⁽¹⁾:

مَجِّدُوا الْقُرْآنَ شَيْبًا وَبَنِينَ
وَازْفَعُوا مَجْدًا عَلَى أَسْ مَتِينَ
يَا رَجَالَ الْيَوْمِ شَيْبًا وَشَبَابَ
فَكِتَابُ اللَّهِ يَدْعُو لِلصَّوَابِ
هَـا هُوَ الْمَنْزَلُ مِنْ رَبِّ الْعُلَا
فَهُوَ دُسْتُورُ الْكِرَامِ النَّبَلَا
فَتَأَسُّوا بِالنَّبِيِّ الْمَصْطَفَى
وَارْفَعُوا فَوْقَ الرُّؤُوسِ الْمَصْحَفَا
وَاحْفَلُوا بِالْعِلْمِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
فَأَسَاسُ الْمَجْدِ قُرْآنٌ مُبِينٌ
لَا تَظَنُّوا الْمَجْدَ فِي غَيْرِ الْكِتَابِ
فَأَجِيبُوا دَعْوَةَ الدَّاعِي الْأَمِينِ
وَعَلَى الْمَبْعُوثِ فِينَا نَزْلًا
مُضْلِحٌ لِلْكَوْنِ فِي كُلِّ السَّنِينِ
وَاقْتَدُوا بِالرَّاشِدِينَ الْخُلَفَا
رَفَعَ إِجْلَالِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

ويقول المربي الصوفي الشيخ علي أمين سيالة - رحمه الله تعالى - في كتابه الدروس الأساسية للناشئة الإسلامية⁽²⁾:

تَذَبَّرْ أَخِي الْقُرْآنَ وَاشْرَحْ لَهُ صَدْرَا
كِتَابُ أَتَانَا رَحْمَةً مِنْ إِلَهِنَا
كِتَابُ هُوَ الْفُرْقَانُ وَالنُّورُ وَالْهُدَى
وَفِيهِ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى
يُبَشِّرُ مَنْ يَسْعَى إِلَى الْعِلْمِ وَالثَّقَى
هَنِيئًا لِمَنْ يَتْلُوهُ دَوْمًا مُرْتَلَا
بِهِ يَا إِلَهَ الْخَلْقِ نَوَّرْ قُلُوبَنَا
وَأُضْلِحْ لَنَا الدُّنْيَا وَطَيْبْ لَنَا الْآخِرَى

وفضلاً عن هذه القصيدة أنشأ الشيخ (سيالة) كذلك خطبة جامعة، خطب

(1) ورقة موجودة بمكتبة كاتب المقال.

(2) طبعة مكتبة النجاح ص 5.

بها بجامع (الناقة)، أحد المساجد العتيقة بمدينة طرابلس، حرّض الناس فيها على المثابرة في حفظ كتاب الله، ونبذ الكسل والتراخي؛ لأن في حفظه وتعلمه الفوز والصلاح في الدارين، يقول الشيخ⁽¹⁾: (ولا ينجو من عذابه إلا الذين هم بآيات الله يؤمنون، لا سيما الذين لهم بالقرآن اعتناء وغرام، يتلّونه حقّ تلاوته ويعلمونه أولادهم من بعد الفطام. حسبما كان عليه الصحابة والتابعون... أولئكم أصحاب اليمين، وأحاب رب العالمين، الذين وعدهم بالجنة هم فيها خالدون... فتعسّ لقوم لا اعتناء لهم بكتابهم، ولا اهتمام لهم بكلام ربهم، رجال كالخشب المسند وأطفال بضلالهم فرحون. لا بركة فيهم ولا أمل، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ، وإذا غوّب الآباء قالوا: يكفي أبناءنا معرفة الحروف وحفظ ما به يصلّون... فوجود هؤلاء الناس عاد الدين غريباً، وصار حامل القرآن بينهم أسفاً كثيراً، بضاعته نفيسة والسوق كاسد إنّا لله وإنّا إليه راجعون. فطب نفساً يا حامل القرآن، فإنك أنت الأعلى ومأواك الجنان، يوم يقال لك: اقرأ وارق غير محزون ولا مفتون... ولا تأسف على كساد بضاعتك، ولا تحزن على زهد الناس في صناعتك، فسيأتيهم وقت فيه يندمون... حيث سارعوا بأبنائهم إلى فنون الدنيا الفانية، وحرموهم من علوم الله الباقية. حرصاً على جمع حطام يتمتعون به قليلاً ثم يموتون، فأففقوا إخواني من هذه الغفلة، واغتنموا حفظ القرآن وفضله).

ثم أردف قائلاً: (إنك لبالقرآن تؤمن، ولكنك اتكّلت على غيرك في حفظ مبانيه، واعتمدت على من سواك في فهم معانيه؛ كأنك لست من أهله، ولا أنت من راغبي فضله، فاتّق الله واتل كتابه الأغرّ، وعلمه لابنك من وقت الصغر، بأن تضعه عند معلّم تقي ماهر، يعلمه كلام ربّه القاهر. ثم انقله إلى مرشد عالم يفقه في الدين، ويفهمه أحكام الشرع المبين، ويربّيه تربية ربّانية، ويلقّنه الأخلاق النبوية، ويحبّ إليه العلم والعمل، ويكرّه إليه الجهل والكسل، ويدلّه على طرق الحياة الهنيئة، ويحذّره وخامة البطالة الرديّة، ويحثّه على كسب الحلال من طريقه الشرعية، وينهاه عن اكتساب الحرام وارتكاب الرذائل الدنيّة؛ فلم تشعر إلا وهو

(1) نسخة مخطوطة بمكتبة كاتب المقال.

قُرّة عَيْن، نائلاً به سعادة الدارين. هذه نصيحة لك فاقبلها، واعمل بها ولا تهملها. وإلا فأنت مريض الفؤاد، ولست على سُنّة خير العباد).

الكتاتيب وأعلامها:

لن ينال حديثي كل الكتاتيب بمدينة طرابلس، فذلك ليس من عَزَمَاتِ ورقتي البحثية هذه، وإنما سأقصر القول على بعض الكتاتيب في ضاحيتي (سوق الجمعة) و(المنشية)، اللتين كانتا تعجّ بالكتاتيب ودور تحفيظ كتاب الله تعالى، بحيث قلّما أن تجد مسجداً لصلاة الأوقات أو للجمعات من غير أن تجد الكتاب ملحّقاً به.

أولاً: كتاتيب من سوق الجمعة:

1 - مسجد عمرو بن العاص⁽¹⁾:

ويُعرف أيضاً بمسجد سيدي إِمحمد العريفي، دفين المنطقة، وقد صار هذا المسجد اليوم أثراً بعد عين، وكان في زمانه الأول مأماً للطلاب والدارسين، حيث تخرّجت فيه جمهرة صالحة من الطلاب، الذين تولّوا في قوابل الأيام منازل رفيعة في القضاء والتدريس.

ولعلّ من أَلَمع الشيوخ الذين تعاقبوا على التدريس بهذا الكتاب:

1 - الشيخ محمد بن حسن العالم⁽²⁾: وكان من تلاميذه ابن شقيقه العلامة

الشهير الشيخ محمد الأمين العالم، يقول الشيخ ابن أَحْمَادِي في كتابه (منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين) الذي صنّفه في ترجمة الشيخ محمد الأمين العالم: (وسلمه والده إلى شقيقه المؤدّب محمد بن الفقيه حسن، معلّم أبناء المسلمين كلام بارئهم ومولاهم، بجامع سيدي العريفي)، وكان هذا على أقلّ تقدير بين سنتي (1278 - 1280هـ).

(1) روايات شفهية موجودة بالمنطقة.
(2) كتاب منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين، للشيخ أحمد بن حمادي، ص3، (مخطوط).

2- الشيخ علي الصيد عموش⁽¹⁾: وأكبر الظن أنه حفظ القرآن على يدي الشيخ السالف ذكره، ثم تصدر للتدريس بعد وفاته. ومن أشهر تلاميذه الشيخ فرحات ابنزيك، الذي تولى التدريس من بعده.

3- الشيخ فرحات ابنزيك⁽²⁾: وُلد الشيخ فرحات سنة 1916م، وأتم حفظ القرآن الكريم على يد معلمه السابق الذكر، ثم انتظم في حلقات العلم بجامع (ميزران) المعمور، وكلية أحمد الباشا بطرابلس الغرب. وفي عام 1936م، خَلَفَ شيخه في تدريس القرآن الكريم بالجامع المذكور، ثم عُيِّنَ في نهاية عقد الستينات من القرن المنصرم مدرّساً للقرآن الكريم للصفوف الابتدائية بمعهد مالك بن أنس بمحلة الظهر بطرابلس، ثم تولى في أخريات سبعينيات القرآن العشرين إدارة المدرسة القرآنية بمنطقة (أبو سِتّة)، فضلاً عن تلك الوظائف التي تولّاها، فما زال يؤمّ جماعة المسلمين في صلاتي الجمعة والتراويح بمسجد (علي بن جوهرة) بمنطقة (العمروص) منذ أربعين حولاً إلى يوم الناس هذا، نسأ الله في عمره.

2- جامع عبد الله بن عقبة⁽³⁾:

وهو مسجد عتيق بأحد مداخل محلة (العمروص) بمنطقة سوق الجمعة، وقد جُدّد بناؤه حديثاً.

ومن ألمع الشيوخ الذين نَهَدُوا لتدريس كتاب الله تعالى فيه، الشيخ إمام المصراطي، الذي عيَّنه القاضي الشرعي في بداية الأمر إماماً راتباً للأوقات، فاهتبل أهل المنطقة هذه الفرصة وأرسلوا إليه أولادهم زَرَافَاتٍ ووحداناً، ليعلمهم كتاب الله الكريم.

وُلد الشيخ إمام سنة 1907م بمنطقة (شطّ الهنشير) بطرابلس، وعلى منهج التنشئة الإسلامية التي كان عليها المجتمع الليبي آنئذ بعثه والده إلى الشيخ

(1) رواية عن أسباط الشيخ المذكور صاحب الترجمة.

(2) مشافهة عن صاحب الترجمة.

(3) رواية شفوية.

عبد المولى محمد السالك، بكتّاب جامع (بيت المال)، فأتّم حفظ القرآن على يديه في وقت مبكر، كما أَلَمَّ ببعض أحكام الفقه الإسلامي، وشدا شيئاً من علوم العربية، نحوها وصرفها، ثم رغب والده في توسيع حصيلته العلمية، فأرسله إلى جامع ميزران، فتتلمذ على شيوخه الأعلام، من أمثال الشيخ المبارك علي الغرياني، والشيخ المحدث محمود المسلاتي، والشيخ محمد المصراتي، والشيخ الأديب البارع إبراهيم باكير - رحمهم الله تعالى جميعاً، ورضي عنهم - كما زامل أثناء دراسته بهذا الجامع ثلّة مباركة مِنْ أَنْجَبِ طلاب العلم، الذين صاروا في قوابل الأيام فحول العلم، وفرسان المعرفة، من مثل الشيخ الجهيد الحفيظ عمر الجنزوري، والشيخ المهدي أبو شعالة، والشيخ عبد الرحمن القلهود وغيرهم.

ولما آنس من نفسه القدرة على الإقراء والتدريس آب إلى منطقته بسوق الجمعة، للتدريس بمدارسها العامة، ثم ترك التعليم العام؛ ليؤم المسلمين في صلواتهم، ويحفظ أبناءهم كتاب الله تعالى بمسجد (عقبة) المذكور، فتخرّجت على يديه جماعة صالحة من الطلاب والدارسين، وكان - يرحمه الله تعالى - شديداً مع طلابه، حريصاً على انتظامهم في دراستهم، يُحَبِّبُ إليهم التقوى ويزينها في قلوبهم، وينقّره من الكفر والفسوق والعصيان، ثم ترك التدريس في أخريات أيامه، واكتفى بإمامة المسلمين في صلواتهم، حتى نزلت بساحته المنية في يوم 1973/12/29م، ودفن بمقبرة (القصية) بمنطقته، رحمه الله ورضي عنه⁽¹⁾.

3- مسجد سيدي البصير⁽²⁾:

وهو مسجد قديم يقع بطريق سوق الجمعة، وقد تمّ تجديده مؤخراً. ومن أشهر الشيوخ الذين قاموا بتحفيظ القرآن الكريم في رحابه، الشيخ محمود أحمد الرقيعي، الذي خُلد ذكره بإطلاق اسمه على خلوة لتحفيظ القرآن الكريم بزنقة (بن دحيم) بمنطقة سوق الجمعة. ثم خَلَفَهُ في التدريس بهذا المسجد تلميذه الشيخ الهاشمي أبو سديرة، المولود سنة 1919م، وذلك منذ منتصف الثلاثينيات

(1) ورقة قدّمها ابنه الدكتور عبد المولى المصراتي لصاحب المقال.

(2) رواية عن الشيخ نصر الدين أبو سديرة ابن الشيخ المذكور.

من القرن العشرين، وفضلاً عن تدريسه لكتاب الله تعالى كان يؤم جموع المصلين بهذا المسجد، كما عُيِّن إضافة إلى ذلك مأذوناً شرعياً منذ سنة 1970م، إلى أن وافاه أجله في يوم 8/10/1985م.

4- زاوية عرادة⁽¹⁾:

وتعرف كذلك بخلوة عَرَادَة، لوجودها بمنطقة عرادة، إحدى ضواحي مدينة طرابلس. ولا أعلم من أمرها إلا قيام الشيخ عبد الله كشون بتحفيظ القرآن فيها إبان نهايات العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي.

5- مسجد بيت المال⁽²⁾:

أسسه محمد شلبي بيت المال في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وحَبَسَ عليه أحباساً، كما ألحق به كُتَّاباً لتحفيظ القرآن الكريم، وزاوية عيساوية وأخرى عروسية. وقد تعاقب على تدريس القرآن الكريم في هذا المسجد ثلاثة أشياخ من أسرة واحدة، أولهم الشيخ محمد السالك، ثم ابنه الشيخ عبد المولى، وأخيراً حفيده الشيخ الطاهر؛ فأما الجدّ، فلم أوفق إلى معرفة شيء عنه. وأما الابن، فكان عالماً من علماء البلاد، جمّع مكتبة عظيمة، حوت كل نفيس ونادر، كما كان رحيماً باليتامى والفقراء، يخلطهم بعياله، ويتعاهدهم برعايته، ويعفيهم من دفع أجر تدريسه لهم. ومن تلاميذه، الذين حفظوا القرآن الكريم على يديه، الشيخ إمام المصراطي، الذي وقفنا على ترجمته عند الحديث عن مسجد «عبد الله بن عقبة»، والشيخ محمد البغدادي، الذي يبدو أنه كانت تربطه بالشيخ روابط روحية متينة، دفعته إلى أن يسمّي أحد أولاده باسمه، ثم صار هذا الولد في قوالب الأيام شاعراً فحلاً كبيراً، هو الشاعر الدكتور عبد المولى محمد البغدادي. ثم سار الشيخ الحفيد على سنّة أبيه وجدّه، فتخرّجت على يديه ثلّة صالحة من الطلاب، تبوّؤوا منازل رفيعة في التدريس والمحاماة والقضاء.

(1) رواية عن الشيخ احميدة الوحيشي.

(2) رواية شفهية ومن اللوحة الرخامية المكتوبة عليه، والأستاذ عبد السلام الأسطى، ود. عبد المولى محمد البغدادي.

ثانيًا: كتاتيب من المنشية:

1- جامع عمورة⁽¹⁾:

وهو جامع عتيق يقع بشارع «ابن عاشور»، ومن أشهر شيوخه الذين قاموا بتدريس القرآن الكريم في رحابه، الشيخ سالم علي بن بركة (ت 1949م)، الذي يتصل نسبه بالفواتير السبعة بمدينة زليتن. ومن تلاميذه الذين حفظوا القرآن على يديه، الشيخ محمد الضباع (1913 - 1999م)، والشيخ محمد الخازمي، فضلًا عن ولده الشيخ (محمد جاهد)، الذي أتم الحفظ في سن مبكرة، وشرع في معاونة والده في الإقراء والتحفيظ، ثم خلفه بُعِيد وفاته. ثم ما لبث الشيخ (جاهد) أن افتتح كتابًا آخر في مسجد (سيدي عبد الغني) الكائن في الشارع نفسه، لما تولّى إمامة الأوقات فيه، فضلًا عن إسهامه في إنشاء كُتّاب خلوة العزابي (جامع الساعة حاليًا)، وتولّى مشيخة الذكر بالزاوية الكبيرة؛ لغزارة محفوظه من القصائد المولدية والمالوف الأندلسي، وهو أخيرًا أحد مريدي الطريقة العروسية، التي أجازها فيها الشيخ إمام محمد التركي.

2- خلوة مسجد العزابي⁽²⁾:

والعزابي هو الاسم الذي كان يطلق على هذا المسجد قبل تجديده، بيد أنه لما جُدد، صار يعرف بمسجد الساعة، نسبة إلى الساعة المثبتة في جدار صومعته.

ومن أشهر الشيوخ الذين درسوا فيه قديمًا، الشيخ عبد الله الشوشان، ذكر ذلك صاحب التقرير عن حالة التعليم بليبيا سنة 1917، حيث قال تحت رقم (21): مدرسة شارع ابن عاشور ملحقة بجامع العزابي. المدرس: عبد الله الشوشان، عدد التلاميذ: 25.

(1) رواية عن الشيخ الضباع، وعبد الرؤوف جاهد بن بركة.

(2) رواية شفهية عن الدكتور محمد بن بركة، والاستشراق السياسي في نصف قرن للصادق نصر، ص 152، دار اقرأ، 1986م، ومقال د. محمد امحمد الطوير، مجلة الوثائق والبحوث التاريخية، العدد 3، السنة 3، ص 171.

وكان هذا الشيخ - كما أنبأني الشيخ فاتح النعال رواية عن أبيه - ذا محفوظ ثرٌ من المالوف والموشحات الأندلسية، فضلاً عن حفظه لكتاب الله تعالى، كما كان عفيف النفس، حسن الأخلاق، كريم الشمائل، مع فقره وسوء حاله، كما أخبر عنه تلميذه الشيخ محمد الضبّاع، الذي حفظ القرآن على يديه بمسجد العنقودي عام 1922م.

3- جامع سيدي سليمان⁽¹⁾:

جامع صغير يقع بزقة (أبو ذينة) بمنطقة فشلوم، ومن ألمع مَنْ درس فيه من الشيوخ، الشيخ أحمد الرويسي، المولود في عام 1916م، والذي أتقن حفظ القرآن الكريم على يدي الشيخ أحمد الإزملي، وكان ذلك مع نهاية عشرينيات القرن العشرين، ثم انتظم في حلقات العلم بكلية أحمد باشا، مدّة ما يقرب من ثلاث سنوات، ثم ألقى عصا تسياره بهذا المسجد، فباشر فيه تحفيظ القرآن الكريم منذ أربعين حولاً، فضلاً عن إمامته لجموع المسلمين به في الصلوات المكتوبة، وإمامة الجمعة بمسجد فشلوم الكبير منذ ما يزيد عن عشر سنوات، والشيخ كذلك من أتباع الطريقة العيساوية، التي أجازها فيها الشيخ سعيد المسعودي، ومن أبرز حفاظ الفنون الأندلسية، بارك الله في أيامه.

4- جامع وسعاية بديري⁽²⁾:

جامع قديم البناء، بُوشرَ منذ وقت قريب في تجديده. يضمّ هذا المسجد فضلاً عن بيت الصلاة زاوية عيساوية، بُنيت عام 1935م، اتخذ منها الشيخ أحمد الإزملي كُتّاباً لتحفيظ القرآن الكريم، ثم لما حجّ هذا الشيخ أثر الإقامة بطيبة الفيحاء، المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة، وأزكى السلام - فخلفه ابنه الأمين في تحفيظ القرآن الكريم بهذه الزاوية، ثم ما لبث هو الآخر أن لحق بأبيه في دار الهجرة، وعرف بين أهلها بـ«الأمين الطرابلسي». وكان - عليه من الله الرحمة - عالماً جليلاً كريماً، يكرم وفادة مَنْ يقوم بزيارته، في أثناء

(1) رواية شفوية عن الشيخ الرويسي.

(2) رواية شفوية عن الشيخ الرويسي.

الحجّ، من أصدقائه الطرابلسيين، من أمثال: الشيخ إسماعيل التركي، والشيخ العارف زغوان وغيرهما. توفي ودُفن بالمدينة المنورة مع بداية الثمانينيات من القرن العشرين.

5- جامع قنديل⁽¹⁾:

يقع هذا الجامع خلف مقبرة (سيدي علي الهاني)، تولّى تحفيظ القرآن الكريم فيه الشيخ محمد سعد العزبي، الشهير بين الناس بـ(محمد السويدي).

ابتدأ الشيخ (السويدي) مشواره في حفظ القرآن الكريم على يدي الشيخ الغرياني بجامع (الشرفا) بالنوفليين، ثم على يدي الشيخ (ابن حسن) بجامع (الهاني). ثم شرع في التدريس والإقراء بهذا المسجد، فأفنى - رحمه الله تعالى - سحابة خمسين عامًا من عمره في تحفيظ كتاب الله وتعليمه، ولم تفتّر له همّة، حتى انتقل إلى جوار ربّه في 2 / 6 / 1989م، وقد جاوز الثمانين من عمره، ودُفن بمقبرة (الهاني)، قريبًا من كُتّابه، الذي كان لا يجد الراحة والسكينة إلا في رحابه، وبين طلابه، رحمه الله تعالى رحمةً سابغة، وألحقه بالصالحين من عباده.

وختامًا، فلعلّي بهذا أكون قد أسهمت في التعريف بجهود بعض شيوخنا الأعلام في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، وتأثيل القيم والمثل الإيمانية النبيلة في نفوس الناشئة، والوقوف ضدّ تيارات التغريب العاتية التي تعرّضت لها بلادنا إبان فترة الغزو والاستعمار، وذلك من خلال تحفيظهم لكتاب الله وتدريسه. نسأل الله - تعالى - أن يُجزّيهم عنا وعن البلاد خير الجزاء وأوفاه، وأن يرحم مَنْ سار منهم إلى عفوه ورضوانه، ويبارك في أعمار الباقيين، ويسدل عليهم أستار الصحة والعافية، إنه - سبحانه - أقرب مدعو، وأكرم مرجو. كما أجّد الشكر والثناء إلى صديقي وأخي الكريم الأستاذ عبد السلام الهماي بن سعود الذي دبج وراجع هذا البحث لعلاقته القوية بالكتاتيب والقرآن الكريم، فجزاه الله عني أفضل الجزاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(1) رواية عن الدكتور محمد منصف القماطي.